

الوظيفة الاجتماعية لوسائل الإعلام
(مقاربة نقدية لواقع العلاقات بين وسائل الإعلام
والآفات الاجتماعية في المجتمع الجزائري)

أ. د. تماريوسف
كلية الإعلام والاتصال

الوظيفة الاجتماعية لوسائل الإعلام (مقاربة نقدية لواقع العلاقات بين وسائل الإعلام والآفات الاجتماعية في المجتمع الجزائري)

أ.د. تمار يوسف
كلية الإعلام والاتصال

Abstract:

What makes us put the media functions as the most important and successful means reliable to deal with many social problems, is what we know about it. Media can make public opinion judge conditions and make a decision in the interest of the public good. Therefore, the strongest function media can exercise is influencing.

History tells us that the horizons of some highlighted events are identified in some societies, since the rise of media, as a public nature (mass). Media was instrumental at changing governance's regimes and the outbreak of war in some counties around the world. Media also transformed some unknown personalities to very important personalities, and turned some cases very forgettable. That is how media

ملخص:

ما نعرفه عن وظائف وسائل الإعلام، يجعلنا نرتبها في أهم وأنجح الوسائل التي يمكن الاعتماد عليها في معالجة الكثير من المشاكل الاجتماعية، مع تحفظنا في طريقة استعمالها، إنها قادرة على تجنيد الرأي العام في الحكم على بعض الأوضاع واتخاذ موقفه منها، فالتأثير هو أقوى وظيفة يمكن أن تقوم إليها وسائل الإعلام.

فالتاريخ حافل بالدلائل على ما يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام، فقد كانت غير بعيدة عن تحديد معالم بعض الأحداث البارزة في بعض المجتمعات، كما كان لها دوراً رئيسياً في تغيير أنظمة الحكم في بعض الدول واشغال شظايا بعض الحروب في بعض مناطق العالم، في ميادين أخرى، نجحت وسائل الإعلام في إضفاء النجومية على بعض الشخصيات المجهولة، وفي المقابل حطمت شخصيات بارزة وغطت عن بعض القضايا إلى درجة العدم، كل ذلك تحت شعار مشاركة وسائل الإعلام في الحياة العامة لأي مجتمع.

لكن الإشكالية المطروحة هنا هي لماذا

involved in the public life of any society.

However, the relevant question is:

Why are media functions weak in their performance? Why are social scourges increasing in their appearance and intensity? What is the major defiance?

وقوة وسائل الإعلام على تلك الشاكلة، تظهر أنها ضعيفة عندنا في محاربتها الآفات الاجتماعية المتزايدة من حيث ظهورها وحدتها؟ أين يكمن الخلل؟.

The key words:

Media, social scourges, socialization, influencing, guidance

الكلمات المفتاحية:

وسائل الإعلام - الآفات الاجتماعية - التنشئة - التأثير - التوجيه

مقدمة

الآفات الاجتماعية، مرض ينخر جسم المجتمعات ويزيدها تعقيداً، إذ لا يخلو أي مجتمع مهما بلغ من رقي وازدهار قديماً أو حديثاً من انتشار الآفات الاجتماعية السلبية التي تفتك بالنسيج الاجتماعي وتنتشر انتشار النار في الهشيم، ولم تستثنى الجزائر كدولة وكمجتمع من هذه الحقيقة، وهذا نتيجة لتقلبات سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية وما ينجر عنها من مخلفات سلبية على الفرد والجماعات على حد سواء، ولقد حاولت معظم الدول الحد من انتشار الآفات الاجتماعية باعتبارها ظواهر سلبية، ومحاربتها بمختلف الوسائل والسبل، باعتبار أنها ترهق امكانيات الدولة وثرواتها وتخلق اللاستقرار الاجتماعي الذي قد يؤدي بدوره إلى الفوضى.

تنتج الآفات الاجتماعية، من عمليات كثيرة ومختلف الروافد، بعضها موجود منذ وجود الحياة الإنسانية بطابعها الاجتماعي، وبعضها الآخر ظهرت نتيجة التطورات التكنولوجية والعلمية بصفة عامة، لكنها في الأغلب الأعم، تظهر الآفات الاجتماعية من باطن الظواهر الاجتماعية، بتعقيداتها وصعوبتها وفلسفتها، كالفقر والمجاعة ونتائج الحروب والطقس وقساوة الطبيعة.. وعلى هذا الأساس فإن النظر في وسائل محاربتها، يجعلنا أمام وضع غاية في التعقيد تتداخل فيه مجالات كثيرة ومختلفة، قانونية، عقابية،

اجتماعية، نفسية.. لكننا نعتقد أن وسائل الإعلام هي أكثر تلك الوسائل نجاحا في مقاربة الآفات الاجتماعية.

ليس الغاية من هذه المحاولة، البرهنة على قوة وسائل الإعلام في محاربة الآفات الاجتماعية، لأن ذلك قد سبقنا إليه الكثير من علماء وخبراء وسائل الإعلام، حيث ظهرت دراسات كثيرة ونظريات لم تترك نتائجها مجال للشك، في كون أن أثر وسائل الإعلام من طبيعة استعمالها، فبقدر ما هي قوية التأثير على الفرد، بقدر ما يمكنها أن تخلق آثار غير مرغوبة وهو ما أسماه كلن من «بول لازارسفيلد» و«ميرتون» ب «التخدير» أو «تخفيف الشعور بالاختلال الوظيفي»، أي أن وسائل الإعلام توجد عبر الاحساس باللامبالاة وعدم الاهتمام لدى الجمهور، مما يؤدي إلى التخدير بدلا من التنشيط، ويضاف إلى ذلك، الكم الكبير من المعلومات الذي تقدمه له، فتتحول معرفة الناس إلى معرفة سلبية، لا تشجع على المشاركة الفعالة والإيجابية في قضايا المجتمع. صحيح أن هناك الكثير من الآراء المتضاربة فيما يخص دور وسائل الإعلام في المجتمع، بين كونها تعمل على الرقي والتربية والتنشئة الاجتماعية، وبين كونها سبب في الانحلال الخلقي وتوجيه الفرد إلى السلوك غير السوي في تعاملاته مع الآخرين، وبين هذا وذاك لم يتزحزح دورها من استعلاء قائمة الوجهة التي يتجه إليها معظم الأفراد في أي مجتمع لتلبية حاجاتهم المختلفة، وأصبحت بذلك من أهم وسائط الاتصال الحديثة التي تسيطر على الأفراد والجماعات والدول.

إن هذه المحاولة لا تخص وسائل الإعلام والظواهر الاجتماعية، بل تتحدد في دور وسائل الإعلام في مجابهة الآفات الاجتماعية، بالنظر إلى إمكانياتها في التصدي لها ومعالجة الكثير منها، فقد لخص محمد عبيد حسنة تلك الامكانيات والوظائف في قوله «وقد لا نغالي إذا قلنا بأننا نعيش اليوم مرحلة الدولة الاعلامية الواحدة التي ألغت الحدود، وأزالت السدود واختزلت المسافات والأزمان واختصرت التاريخ واختزلت الجغرافيا، حتى باث الإنسان يرى العالم ويسمعه من مقعده ولم يقتصر الأمر على اختراق الحدود السياسية والسدود الأمنية، وإنما يتجاوزها إلى إلغاء الحدود الثقافية ويتدخل في الخصائص النفسية، وتشكيل القطاعات العقيدية فيعيد بناءها وفق الخطط المرسومة لصاحب الخطاب الأكثر تأثيرا، والبيان الأكثر سحرا والتحكم الأكثر تقنية» ١، فلماذا و كل هذه الوظائف التي تقوم بها وسائل الإعلام لم تستطع عندنا، مجابهة الآفات الاجتماعية التي تتفاقم يوم بعد يوم؟.

مبررات طرح الإشكالية.

يبدو أن السؤال السابق بسيط في طرحه ومستهلك من حيث الاستعمال، لكن من حيث الواقع لم يحدث أن نجحت وسائل الإعلام عندنا في التقليل من حدة وخطورة ما يحدث

في الجزائر من آفات اجتماعية، على شاكلة الهجرة غير الشرعية، تعاطي المخدرات والمتاجرة فيها، حوادث المرور، العنف الأسري، الرشوة والتي تزداد حدتها رغم ما سُخر لأجل محاربتها والتقليل من نتائجها السلبية، فالسؤال السابق يأخذ كل أهميته هنا، خاصة إذا علمنا ما قدمته الدولة من إمكانيات مادية كبيرة، وما قامت به من عمليات تحسيسية وعلى نطاق واسع، ورغم الاستراتيجيات الردعية التي وضعت للمتسببين فيها.. فالواقع أثبت فشلها مع نسبة تزايدها يوما بعد يوم.

نحن نعلم معرفيا أن وسائل الإعلام، أصبحت من أكثر الوسائل حضورا وتأثيرا لدى الغالبية العظمى من أفراد المجتمع، وسمحت لها وظائفها من لعب أدوار أساسية في معالجة المشاكل وتدارك النقائص، فوسائل الإعلام وعلى اختلافها قادرة على التأثير في الآراء والسلوكات حسب المراحل الزمنية أو حسب الجمهور المستهدف، ومن هنا يبرز الدور الفعال الذي تقوم به في صنع المعلومة وتقديمها في شكل رسالة إعلامية قد تكون مسموعة أو مرئية أو مقروءة، تسعى إلى تعديل سلوكات المواطنين من خلال استراتيجيات وخطط وبرامج الحملات التحسيسية، فلماذا وهذه القوة التي تتميز بها وسائل الإعلام في التأثير والتوجيه، لم تستطع إيجاد استراتيجية إعلامية تخفف من خلالها انعكاسات الآفات الاجتماعية في الجزائر؟.

يسود الاعتقاد الخاطئ عند الكثير منا، أن الآفات الاجتماعية تخص المعنيين بها فقط، من ضحايا والمتسببين فيها.. ومن هذا المنطلق، فإن مجابهتها تعني القوى النظامية فقط من شرطة ودرك وطني وعدالة.. وهذا الاعتقاد هو الصورة التي هي عليها التنشئة الاجتماعية والثقافية في بلادنا، لم تستطع وسائل الإعلام من تغييرها، ولا حتى انتاج خطاب مضاد يطرح البدائل السليمة لمجتمع مستقر ومنشئ اجتماعيا وسياسيا وثقافيا. **إشكالية وظائف وسائل الإعلام.**

لقد كان لنا وأن طرحنا سؤال على طلبة الماستر إعلام واتصال، هل أنتم مع أو ضد أن تبث الصور المروعة لضحايا الآفات الاجتماعية على شاشات التلفزيون؟ فكان الجواب بالنصف، أي نصف الطلبة يحبذون ذلك، والنصف الآخر لا يحبذ ذلك، وكانت مبرراتهم مختلف، ويبدو أن هذا الجدل طال حتى الإعلاميين ورجال الأمن والعدالة ورجال الفكر حول ما إذا كان هذا البث مفيدا أو ضارا؟ وما إذا كان يساعد على تقليص تلك الآفات؟. لقد وجدنا هذا الطرح في الكثير من الدراسات والأبحاث الخاصة بوظائف وسائل الإعلام، فعلى سبيل المثال طرح صاحب دراسة الإشكالية التالية: هل على وسائل الإعلام المختلفة التوقف عن نقل أحداث الجريمة والعنف وكل ما لا طائل من ورائه التزاما بمسؤوليتها الاجتماعية والأخلاقية أمام المواطن وبأخلاق الصحفي المسلم، أم أنها وتحقيقا لحق هذا المواطن في الإعلام، يجب أن تنقل ذلك، بل وتفصل فيه، عسى أن

يكون بث تلك الآفات ونتائجها الوخيمة في وسائل الإعلام، أن تكون ورقة ضغط على الفاعلين السياسيين باتجاه اتخاذ التدابير اللازمة. أم أن الأمر متروك لتقدير الصحفي؟ يبدو أن الإشكال لم يفصل فيه بعد، فبقي يتأرجح بين مختلف أصناف المواقف ومن منطلقات لم تجد لها سند علمي واضح، لكن الأكيد أن التعتيم الإعلامي على تفاصيلها، قد يقلل من درجة الوعي العام لدى أفراد المجتمع في التعامل مع تلك الحوادث تعاملًا وقائياً، وهذا في اعتقادنا ما أوصل معظم أفراد المجتمع الجزائر، يضمنون أن الآفات الاجتماعية لا تعنيهم ما دام أنهم ليسوا طرفاً فيها أو أنها لا تمس حياتهم الاجتماعية مباشرة، فمن كان ضحية لحادث مرور على سبيل المثال، يهتم بكل ما له علاقة بهذه الآفة، ومن كان له قريب هاجر بطريقة غير شرعية، فقد يهتم بهذه الآفة وتفاصيلها أكثر، بل أبعد من ذلك، فقد لاحظنا مثلاً، أن هؤلاء يكونون في الغالب أعضاء في جمعيات اجتماعية تعني بهذه القضية أو تلك، فكيف يمكن تحسيس كل أفراد المجتمع أن الآفات الاجتماعية ليست قضية فئة بعينها أو جماعة اجتماعية؟

إن الوظيفة السابقة الذكر، هي من مهام وسائل الإعلام المختلفة، حيث تعد في اعتقادنا أهم الوسائل التي يمكن أن تعمل على تنمية التنشئة بمختلف أشكالها -طبعاً دون إقصاء الأجهزة و المراكز الأخرى التي تعمل في هذا الإطار- فوسائل الإعلام تقوي الصلة الاجتماعية بين الأفراد عن طريق اظهار تعاطفهم في أسلوب رقيق يعبر عن مشاعرهم، أو تقديمها عبر الشخصيات الشهيرة المحببة إلى نفوس الناس، وهي أكثر الوسائل فعالية أيضاً في تغيير تلك الصورة السلبية التي قد تظهر في بعض الأوقات ومن بعض الأشخاص، أو على الأقل تصحيحها، فقد أثبتت الكثير من التجارب أن وسائل الإعلام والاتصال، قد تنجح في الكثير من الأحيان، في تشكيل العقل والسلوك البشري أو تغييره، عن طريق تصورات وأفكار ومبادئ تعمل على إحداث تغيير محتمل في المجتمع فهي من أهم المؤثرات والموجهات التي تساهم في توجيه سلوك الأفراد إزاء بيئة معينة، أو نمط من الأنماط المقترحة وتجعلهم يكتسبون مجموعة من المعارف والمعلومات حول شيء ما.

يظن الكثير من الناس، أن وظيفة وسائل الإعلام هي الترفيه فقط، وهذه نظرة ضيقة جداً، فما الترفيه إلا وظيفة من ضمن وظائف كثيرة تقوم بها وسائل الإعلام، فقد أخبرنا التاريخ أن وسائل الإعلام أسقطت حكومات، وأشعلت حروب، وغيّرت من رؤساء، وتدخلت في الحياة الخاصة للكثير من المشاهير.. فهذه الوظائف غير المعلنة، تشكل القاعدة الأساسية التي يتحكم فيها الشارع «السبق الصحفي» الذي تسعى لتحقيقه الكثير من وسائل الإعلام.

إذن كل تلك الحقائق التي تؤكد على دور ووظيفة وسائل الإعلام في المجتمع، تجعل

سؤالنا السابق يطرح بأكثر حدة، فضعف وسائل الإعلام في الجزائر، وبخاصة في قضايا الآفات الاجتماعية، ليس نابع من مهام وسائل الإعلام وما يفترض أن تكون عليه، بل في ممارستها التأثيرية إن صح التعبير.

واقع الإعلام الجزائري في التصدي للآفات الاجتماعية.

لا نريد من خلال حديثنا هذا، محاكمة الإعلام الجزائري برمته، ولا إلى النقد من أجل النقد، بل إلى محاولة تقديم مجموعة من الملاحظات العلمية التي تتبع في أساسها من البناء النظري لعلم الإعلام والاتصال، بكلام آخر، مقارنة ما ينبغي أن تكون عليه وسائل إعلامنا إزاء الآفات الاجتماعية، وما هو كائن.

ولأن سطور مقال واحد لا تكفي للحديث عن الإعلام الجزائري وكل وظائفه الاجتماعية، فإننا سوف نشير إلى بعض الاختلالات التي رأيناها بارزة في تعامل وسائل إعلامنا مع القضايا الاجتماعية بصفة عامة، والآفات الاجتماعية بصفة خاصة.

يستمد الإعلام مكانته مما يحدثه من تأثير في الأفراد والجماعات عبر مجموعة من الوظائف والأدوار، أبرزها إيصال المعلومات والأخبار إلى الجمهور العام، وعلى أساس هذه الوظيفة، ينبغي على المؤسسات الإعلامية في معالجتها لأخبار الخاصة بالآفات الاجتماعية، أن تتعامل معها بحذر وانتباه وأن تنظر إليها على أنها أخبار ينبغي تصحيحها ووضعها في قالب صحفي معين وإلا فإنها سوف تحدث الأثر المعاكس، ففي دراسة حول المعالجة الصحفية للجريمة في الصحافة المكتوبة، جريدة النهار الجديد نموذجا مثلاً، وصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها فيما يخصنا هنا، أن الجريدة محل الدراسة، اعتمدت على قالب الخبر الصحفي بنسبة عالية وابتعدت عن كتابات الرأي التي هي أكثر إقناع وتوعية وتوضيح لعواقب الجريمة، كما لاحظت الدراسة، أن هذه الجريدة، لا تحد من السلوك الإجرامي في المجتمع الجزائري، وإنما تساعد على انتشاره والترويج له، حيث بالغت في تكثيف نشر أخبار الجريمة وجعلتها من أولويات أجندة الإعلامية، مما ينعكس ذلك سلباً على أولويات الجماهير.

إن الإعلام الجزائري وعبر مضامينه المختلفة، لم يصل بعد لتدارك أهمية التوازن الاجتماعي كدور من أدواره الأساسية، فهو المحرك و الموازن في نفس الوقت، المحرك أي لابد من أن يلقي الضوء على أهم وأخطر الآفات الاجتماعية التي تنخر الجسد الاجتماعي وأن يعرف بها الجمهور، وموازن أي أنه يضع تلك الآفات في موقعها الديني والأخلاقي حتى تصبح مرجع للأجيال القادمة على وجه الخصوص.

من المؤسف أننا نعيش مع إعلام لا يدرك مكانته وأهميتها في التوازن الاجتماعي، فهو في الكثير من الأحيان يمتاز بالسطحية في تناول أهم قضايا المجتمع علاوة على انشغاله بالأمر التافه والشكلية، مما نتج عنه اللامبالاة والاستهانة لدى أفراد المجتمع

في أهمية بعض القضايا وخطورتها على النسيج الاجتماعي، فقد أظهرت دراسة ميدانية، حول دور وسائل الإعلام في الحد من ظاهرة العنف الأسري على الطفل، أن هذه الأخيرة، لم توفق في اقتراح حلول جديّة للحد من ظاهرة العنف الأسري على الطفل، وذلك من خلال طريق تناول هذه الظاهرة، حيث سجلت الدراسة سطحية في التناول والوقوف عند المتغيرات الهامشية، إضافة إلى عدم التطرق للأسئلة الأساسية التي يطرحها المشاهد أو المستمع أو القارئ.

إن ارتباط الإعلام الجزائري، بأنماط إعلامية غريبة في سعيه وراء النزعة التجارية والسباق نحو كسب أكبر عدد من المتفرجين أو المستمعين أو القراء، وتناوله القضايا التي تثير العواطف والغرائز بحجة أنها من أكثر القضايا استقطاباً لدى الجمهور بخاصة الشباب منه، أفقد النزعة الحربية الواجب توفرها للإعلام اتجاه الآفات الاجتماعية المخالفة والمنافية لعادات وتقاليد المجتمع، بل أكثر من ذلك عندما يتناول الإعلام بعض من تلك الآفات بنوع من السخرية والهزل سواء قصدت ذلك أم لم تقصد، تجعلها أفعال مقبولة في بعض الأحيان، بل هي ميزة بعض النجوم المتبعة من طرف الشباب فتصبح آفات لا يحرمها دين، ولا يؤنبها ضمير ولا ينبذها مجتمع، وعلى هذا الأساس فإن وسائل الإعلام وبخاصة المرئية منها، بهذا الدور، تخلق عنف مميز سماه بيبير بورديو بالعنف الرمزي، أي أن وسائل الإعلام، تمارس جملة من الإكراهات على الأفراد والمجتمع فيها نوع من اللباقة واللفظ والخفاء والخبث *C'est une violence cachée, déguisée et voilée* وهذا ما يسميه بالعنف الرمزي.

إن الآفات الاجتماعية التي يعيشها المجتمع الجزائري، من انحراف الشباب، والمخدرات، والانتحار، والطلاق، والهجرة غير الشرعية، والرشوة، والتمييز العنصري، والتسول.. كلها مواضيع إعلامية بامتياز، بمعنى أن هذه الآفات موجودة في المجتمع، فإذا تفاقمت فهذا يعني أن وسائل الإعلام سلطت الضوء عليها بطريقة غير سليمة، إما ضعفاً من حيث الأداء المهني في تناولها، وإما بقصد وذلك لتحقيق نسبة مشاهدة عالية ومنه تحقيق البرح الكثير.

ماذا أنتج هذا الوضع؟

أصبح المجتمع الجزائري لا ينتظر الكثير من إعلامه، لأن ما هو منجز حالياً بعيد بكثير عن تطلعات الفرد الجزائري، ولعل هذا ما يفسر حالة التذمر الكبيرة التي نجدها لدى الشارع الجزائري حول أداء وسائل الإعلام، إذ يتفق الكثير من المتابعين والكتاب والاكاديميين وحتى الرأي العام، أن غالبية وسائل الإعلام الجزائرية بعيدة كل البعد عن الواقع الجزائري الفعلي، سواء على المستوى الثقافي، أو السياسي، أو العلمي، أو الاقتصادي... فمن بين النتائج التي وصلت إليها دراسة السعيد بومعيزة حول أثر وسائل

الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب، أن هؤلاء وفي أغلبيتهم وبغض النظر عن مستواهم التعليمي لا يوافقون على أن وسائل الإعلام تساعدهم على تجاوز بعض السلوكات السلبية وبصفة خاصة ذات البعد الاجتماعي، كما وصلت الدراسة نفسها في إحدى نتائجها، أن البيئة الرمزية التي يقدمها التلفزيون الجزائري، لا تؤثر في المبحوثين الشباب التي تبقى مضامينها بعيدة عن واقعهم الاجتماعي لأن الشباب يتأثرون أكثر ببيئتهم الاجتماعية الحقيقية

وحتى وإن تمادينا في تفصيل الأسباب التي جعلت وسائل إعلامنا على هذا النحو من التدني، فإننا لا نخرج عن سببين أساسيين يتحكمان في طريقة إدارة محتويات وسائل الإعلام عندنا:

- أن هناك نزعة تجارية أكثر منها علمية أخلاقية في طريقة تناول القضايا الاجتماعية، وهذه الميزة نلاحظها أكثر في وسائل الإعلام الخاصة، فهي بين تحقيق الأرباح وأداء رسالة أخلاقية إزاء المجتمع، وعندما تميل الكفة إلى البعد الأولى، تسقط الحدود الأخلاقية، فتعمل الوسيلة على التركيز على ما يحرك غرائز المتلقي وتشوّقه في معرفة أكثر لخبايا الآفة محل التناول، الهدف من كل ذلك جلب أكبر عدد من المشاهدين أو المستمعين أو القراء، ومنه تحقيق الأرباح.

- غياب مكونين في هذا المجال، أي في مجال تناول الأبعاد الاجتماعية لقضايا المجتمع، وبخاصة إذا كانت من نوع الآفات، فهذه الأخير تحتاج إلى تناول خاص يقوم على العرض وتقديم الحلول بطريقة تجلب انتباه الفرد وفق السياق الذي يعيش فيه، والحكم على تلك الآفات على أنها سبب هلاك المجتمع، بطريقة لا تترك للفرد مجال للشك.

ما هو المطلوب؟

لا نقول أن المهمة سهلة، لكنها ليست مستحيلة خاصة إذا حضرت الإرادة لدى وسائل الإعلام في الابتعاد عن الحلول المناسباتية الرنانة، التي تترجم الواقع إلى ما يخدم مصالحها وأيديولوجيتها، أو -كما يقول يوسف عبد اللاوي- «والتي تسوق فتاوى حرمة اقتناء أجهزة التلفزيون أو الفيديو أو مشاهدة الفضائيات، أو تحرم التعاطي مع شبكة الإنترنت وعدم جواز التعامل مع وسائل الإعلام عموما خوفا على المنظومة القيمية والأخلاقية للمجتمع، بل الحل يكمن في تطوير وسائلنا الدفاعية باستخدام نفس الوسائل واستثمارها لخدمة أهدافنا و لتحسين أجيالنا بل وللتعريف برسالتنا الحضارية للعالمين».

إن الحاجة ماسة لتوعية الإعلاميين أنفسهم إلى ضرورة التحلي بالوعي عند التعامل مع قضايا المجتمع وبخاصة إذا كانت من الآفات الاجتماعية، فالحذر مطلوب فيما يُبث

أو يُكتب حولها، إنها معقدة تعقد تفاعل أفراد المجتمع الجزائري، إضافة إلى حساسيتها مقارنة بالمعتقد الجماعي للفرد والجماعات المرجعية التي ينتمي إليها، فلا ينبغي النظر إلى تلك الآفات نظرة الصحفي من مرجعياته المختلفة، فإذا كانت قضية الرجل والمرأة والعلاقة بينهما خارج إطار الزواج، من الآفات الاجتماعية المنبوذة في العرف الديني والثقافي للمجتمع الجزائري، فلا ينبغي على الصحفي أن يتناولها كأحداث درامية تقلل من خطورتها أو تشجع على القيام بها، بل نريدها تناولاً واقياً، معالِجاً، يُرجع أهميتها إلى مكانها الطبيعي (الديني والاجتماعي، والثقافي) الذي يحكم الزوج والزوجة على سبيل المثال، ومن منظورنا الخاص، فإننا نرى أن العلاقة بين وسائل الإعلام والآفات الاجتماعية، ينبغي أن تأخذ الأبعاد التالية:

- تجاوز أنماط المعالجة الإعلامية للآفات الاجتماعية التي تعتمد في أغلبيتها على الأمور المطروحة، بمعنى آخر ينبغي على وسائل الإعلام في تعاملها مع هذا النوع من القضايا، أن تتعدى ما هو متداول حولها عند العامة من الناس حيث تكون أكثر بساطة، فهي بهذه الطريقة، لا تجلب انتباه المتلقي لمعرفة الجديد فيها، إن الرسائل التي تقدمها وسائل الإعلام هي رسائل مضافة، أي أنها رسائل لا تنقل الأحداث كما هي، وإنما تقوم بصياغتها وإعطائها صورة مناسبة ومن ثم تقديمها للأفراد، هذا التقديم الذي ينبغي أن يكون مُعالِج و مُوجه للقضية محل التناول.

- عند تناول الآفات الاجتماعية بالشرح والتفصيل، ينبغي طرح البدائل أو الحلول المنطقية التي قد تعرض لمكافحتها والحد منها، وليس عرضها لغرض العرض فقط، دون أن يأخذ بعين الاعتبار المتغيرات التي تزيد من أهميتها، بمعنى آخر على وسائل الإعلام أن تلعب دورها في التنشئة الاجتماعية فيما يخص الآفات الاجتماعية، فهي المرشد والمُنبه والموجه إلى خطورة هذه الآفات على الفرد أولاً ثم على المجتمع واستقراره ثانياً.

- الاعتماد على التبادلية أو التفاعلية في التواصل بين الوسيلة وجمهورها، والنظر إلى المتلقي على أنه شريكاً جديراً بالاستقلالية في الرأي والموقف، وليس طرفاً سلبياً مستهلك بسيط للإعلام في العملية، وعليه ينبغي أن تكون الرسالة مقنعة ومدرسة بدقة فكلما كانت استنتاجية وغير مباشرة، كان أثرها أفضل.

- لابد على وسائل الإعلام أن تحارب فلسفة «هذا لا يحدث إلا لغيرنا» من خلال تعرضها لمضامين تقحم فيها بطريقة ذكية للفرد المتلقي، وتحسيسه بأنه ليس معزل عن السقوط في نسيج إحدى أو أكثر من تلك الآفات، وأن الفرد هو صانع الآفات وليس العكس، فانعكاساتها تكون عليه مهما كان دوره فيها أو بعده عنها، فقد وصلت الدراسة التي قام بها سعود عبد العزيز آل رشود، حول الآليات الإعلامية العربية للوقاية من

جرائم الاحتيال، أن دور وسائل الإعلام في توعية المواطن غاية في الأهمية، إذ تقدم له مختلف أساليب وطرق الاحتيال وبالتالي قدرتها الفائقة على وقاية المجتمع وتحصينه من خلال إسهام المواطن في مكافحة هذه الجرائم.

- الرسائل الإعلامية لا تُبنى في فراغ ولا تأتي من فراغ أيضاً، بل هناك مراجع وسياقات وأسس، تتحكم في طبيعة القضايا المتناولة فيها، وأكثر من ذلك، الكيفية التي تتناول بها تلك القضايا، فالأصل أن يكون البعد الأخلاقي هو أهم عنصر يتحكم في بناء المضامين الخاصة بالآفات الاجتماعية، ونحن عندما نقول البعد الأخلاقي، ندرج تحته كل الأبعاد الأخرى من دينية عرفية تقليدية.. أي الانتباه إلى البعد الأخلاقي في صياغة الرسالة (مهما كان نوعها).

- يقول سمير لعرج في أطروحته للدكتوراه، أن المنظومة القيمية التي تفرزها وسائل الإعلام داخل كل مجتمع، كل متداخل، فما يقع على قيمة ما، قد يقع على قيمة أخرى، بمعنى أن النسيج الاجتماعي الذي يحتضن الآفات الاجتماعية، تتحكم فيه عدة قيم دينية، اجتماعية، أخلاقية، تاريخية، تقاليد، أعراف، لذلك على الصحفي عند تناوله لتلك الآفات، الأخذ بعين الاعتبار تلك الأبعاد المتداخلة، وفي دراسته لدور التلفزيون في تشكيل القيم، يرى سمير لعرج دائماً، أنه لا يمكن الحديث عن انتقال مجموعة من القيم، أو الرموز، أو الثقافة، أو سلوكيات معينة إلى الجمهور المتلقي، إن لم يكن لهذه القيم والرموز، وتلك الثقافة والسلوكيات مرجعية في الرسالة الإعلامية.

الخاتمة

الإيمان بقوة تأثير وسائل الإعلام، ليس حديث اليوم، بل منذ الثلاثينيات القرن الماضي، حيث توصلت الكثير من الدراسات، على أننا يمكن استعمال وسائل الإعلام في الكثير من المجالات وبنجاح كبير، خاصة في القضايا التي تتطلب تجديد وتعبئة الرأي العام أو توجيهه مثل الآفات الاجتماعية، قضية الهجرة غير الشرعية أو تعاطي المخدرات أو العنف في الملاعب على سبيل الحصر، هي من الآفات الاجتماعية التي يمكن لوسائل الإعلام محاربتها والقضاء عليها، وذلك من خلال مميزاتها الوظيفية التي أتينا عليها سابقاً، إذن نحن نظن أن الخلل يكمن في الاستعمال وليس في الوسائل في حد ذاتها، أي في طبيعة مقاربة الآفات الاجتماعية من طرف مختلف وسائل الإعلام عندنا، لذلك ينبغي إعادة النظر سواء في تكوين الإعلاميين على مجابهة هذا النوع من القضايا أو في تصور استراتيجية على شكل ميثاق أخلاقيات العمل الإعلامي في الشؤون الاجتماعية للمجتمع الجزائري، وذلك عن طريق طرح القضية بجدية وموضوعية، وتمريرها عبر مقاييس علمية ومهنية خاصة بمتابعة وتناول الآفات الاجتماعية، بكل احترافية وموضوعية بناء على مرجعية مبنية على النسيج القيمية للمجتمع الجزائري

وخصائصه، ومنه إيجاد الحلول المناسبة لها، ثم القضاء عليها تدريجيا ولما لا نهائيا، لكن في غياب مثل هذه الآليات العلمية والمهنية، جعل الآفات الاجتماعية، تتطور بسرعة كبيرة وتتعدى من اللامبالاة وعدم الجدية واستغلال مشاعر الأفراد، وما زاد الأمر تعقيدا، هو ضعف المؤسسات الاجتماعية الأخرى في تناول تلك الآفات بما ينبغي أن يكون.

إن وسائل الإعلام بمختلف أنواعها، يجب أن لا تقف عند حدود طرح المشكلة، بل عليها أن تتجاوز ذلك للحديث عن الحلول والمقترحات والمخرجات السليمة لتفادي تفاقم تلك الآفات.. فالفرد الذي يرى أن مضمون وسائل الإعلام يعكس الواقع بدقة، يكون أكثر عرضة لتقبل القيم والمعارف المتضمنة في مضمونها بدون تفكير، أو على الأقل بتفكير منطقي وعقلاني في الحلول المقترحة ولما لا تبنيها.

صحيح أن وسائل الإعلام هي من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية المكلفة بمحاربة الآفات الاجتماعية في أي مجتمع، لكنها ليست الوحيدة، فهي تعبر عن وضع مبني على طبيعة عمل تلك المؤسسات، فضعفها من ضعف تناول وسائل الإعلام لتلك القضايا، ونجاحها من نجاحه.

المراجع

1. عمر عبيد حسنة، مقالات في الدعوة و الإعلام الإسلامي، كتاب الأمة، رقم 28، ص 08.
2. أعلن المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرقات في الجزائر، أن 1647 شخص توفى وجرح 16.200 آخرون نتيجة 11753 حادث مرور عبر مختلف مناطق الوطن خلال السداسي الأول من سنة 2019، وحسب المدير المكلف بالهجرة بوزارة الداخلية والجماعات المحلية والتهيئة العمرانية، فإن ما يزيد عن 40 ألف مهاجر غير شرعي يتم منعهم سنويا من التنقل إلى أوروبا و هذه النسب تجعل الجزائر من الدول الأكثر تضررا بالظواهرتين على سبيل الحصر فقط، كان بإمكاننا الإشارة إلى الكثير من تلك الظواهر مثل الانتحار والجريمة المنظمة والانحراف والتسرب المدرسي.. لكن هنا هو دور وسائل الإعلام في محاربتها أو القليل من حديثها، أي وسائل الإعلام كتغير ثابت في هذه المحاولة.
3. يحي هني، وسائل الإعلام وتغطية أحداث العنف بين حق المواطن في الإعلام والابتعاد عن الترويح الزائد.
4. ** لعل أكبر قضية يمكن أن نعبر بها عن هذا، هي قضية وائر غايت التي حدثت في الولايات المتحدة أيام الرئيس ريتشارد نيكسون عام 1968، حيث فضح صحفيو جريدة واشنطن بوست الرئيس على إثر عملية التجسس التي قام بها أتباعه على الحزب الديمقراطي في مقره، وقد نتج عن هذه الفضيحة، غلى إسقاط رئاسة حكم نيكسون عام 1974
5. بشريف وهيبية، (تفعيل دور وسائل الإعلام للوقاية من جرائم المراهقين داخل المجتمع

6. (الجزائري)، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، العدد 06، 2018، ص 51.
6. مناد أمين، المعالجة الصحفية للجريمة في الصحافة المكتوبة جريدة النهار الجديد. مقدم لنيل شهادة الماستر في علوم الإعلام والاتصال، جامعة عبد الحميد بن باديس (مستغانم): قسم علوم الإعلام والاتصال، 2013، ص 115.
7. أمينة رافعي، رانية نسيب، دور وسائل الإعلام في الحد من ظاهرة العنف الأسري على الطفل. دراسة ميدانية على عينة من الأسر لولاية أم البواقي. مذكرة مكملّة لنيل شهادة الماستر في علوم الإعلام والاتصال، جامعة العربي بن مهيدي: كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، 2016، ص 177.
8. أنظر البرنامج الذي قدمته إحدى القنوات التلفزيونية الجزائرية أثناء شهر رمضان 2020، حيث و بنوع من السخرية، تطرقت إلى موضوع حساس جداً، ألا وهو علاقة الرجل بالمرأة ووضع البرنامج المرأة في موقف مخزي وغير لائق، على أنها هدية تقدم إلى المشارك الذي هو رجل، إذا ما فاز ببعض الأمور.
9. طارق طراد و علة المختار، (مضامين وسائل الإعلام الجزائرية بين المنطق التجاري والأدوار الاجتماعية) مجلة الفكر المتوسطي للبحوث والدراسات للحوار الديانات والحضارات، العدد 02، السنة 2018، ص 40.
10. السعيد بومعيزة، أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب -دراسة استطلاعية بمنطقة بليدة- أطروحة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر: كلية العلوم السياسية والإعلام، 2006، ص 343.
11. يوسف عبد اللاوي، (أثر وسائل الإعلام في نشر الآفات الاجتماعية، رصد وتحليل ومعالجة) جامعة الوادي. ص 15.
12. محمد المسفر، (تحليل الرسالة الإعلامية: تأثير الفضائيات العربية على الشباب العربي)، مجلة المفكر، العدد 03، فيفري 2008، ص 34.
13. سعود عبد العزيز آل رشود، الآليات الإعلامية العربية للوقاية من جرائم الاختيال، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2006.
14. سمير لعرج، دور التلفزيون في تشكيل القيم الجمالية لدى الشباب الجامعي الجزائري، دراسة ميدانية، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر: كلية العلوم السياسية والإعلام، 2007، ص 09.
15. نفس المرجع، ص 17.